عيوب النطق والكلام في التراث اللغوي العربي

أ. د. عبد الحميد الأقطش، كلية اللغة العربية بمكة المكرمة، المملكة العربية السعودية

الملخص

يسعى هذا البحث إلى الاعتناء بعيوب النطق والكلام في لغويات التراث العربي العام، بوصفها امتدادًا سابقًا ومُبكِّرًا للمقاربات الحديثة، التي تعنى بالموضوع، وبخاصة اللغويات التطبيقية/ العصبية. وتقتصر المباحثة على العيوب الصوتية، لا الصرفية، أو النحوية، أو الدلالية. والعيوب الواردة في البحث مُسْتَنْخَلَةٌ في جُلِّها، من الأَثرات المتناثرة عن الموضوع بطوايا التراث العباسي تحديدًا.

وتنتظم مسائل البحث بالتكلُّم، بدايةً عن عيوب النطق الفردي، في جانبيْه: المرضي فالسلوكي، ثم يمتد التكلُّم إلى عيوب النطق الجماعي، في جانبيْه: اللهجي فالأعجمي. ثم يكون التكلم عن الأسباب وطرق العلاج.

وبالمحصلة يخلص البحث إلى أن الأنظار اللغوية عن هذه الظاهرة، قد كانت عند علماء السلف ضئيلة، من حيث الكم والكيف، وعمومية الطابع، وفي مجملها تمتاح أفهامًا بلاغية، تهجِّن وتستَهْجن كلَّ ما يخالف نظام اللغة العربية الفصحى. على أنها في ريادتها المبكرة تُعدُّ متميزة، وجديرة بالدراسة والاهتمام. وعلى الخصوص في وفرة ما تقدّمه من المصطلحات اللغوية الواصفة لعيوب النطق والكلام الصوتية.

مدخل

مضت البشرية أحقابًا طويلاً، وهي تعزو عيوب النطق والكلام؛ إما إلى أرواح شريرة تسكن الأفراد المصابين، وإمّا إلى أَعْيُن حسودة تَتَسلَّط عليهم. وعادةً ما يكون الطبيب المداوي عَرَّافًا أو صاحب رُقية، يُغمغِم أحيانًا على رأس المصاب بتعاويذ غاية في الإبهام والتعمية، ويمارس أحيانًا على بدنه ألوانًا من الأذى وضرب السياط.

وبعض من هذه الملامح ربما تستمر له المعايشة، هنا أو هناك بين فئات من الناس البسطاء البدائيين.

والتحوُّل الجاد، والمعتدّ به في هذا الشأن، إنما يؤرَّخ له عالميًا، مع بزوغ فجر الحضارة الإسلامية لا قبلها؛ وذلك أنها في مبادئها السمحة ترى الناس سواسية كأسنان المشط، فلا يعيبُ أحدٌ أحدًا في خليقته، ولا يَهمِز ولا يَلمِز. وبَسْطُ الخلق، وبشاشة الوجه هما حقٌّ عام للأصّحاء وللمُرضاء. والوساوس الخنَّاسة، والأرواح الشريرة لا تُستبعد بالشعوذات ولا العقوبات، وإنما بالاستماع إلى كلمات الله التامات، والبيّنة والواضحة في المعاني والدلالات (ونترّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) [النحل: ٨٢].

وثمة في قوائم علماء الإسلام الأوائل مَن تنبّهوا مبكرًا إلى علاقة التأثير والتأثُّر ما بين علل البدن وعلل النطق. مثل: الرازي (٣١٤هـ) في كتابه "الحاوي"، والمجوسي (٣٨٤هـ) في كتابه "كامل الصناعة"، وابن سينا في كتابه

"القانون". وقد ظلت كتب هؤلاء العلماء منارة التعليم والتعلُّم عند علماء الفرنجة وغيرهم, وبِهَدْيِهَا دخلت أوروبا عصر التنوير والحداثة. ثم كانت انطلاقتها الحضارية المعاصرة في العلوم المختلفة، ومنها في مقام البحث علم نفس لغوي، وعلم نفس مرضي، وعلم لغويات تطبيقية... إلخ.

ومع ذلك، لن ينسى العلم الطبابة النفسية الإسلامية، والعصبية الإسلامية، ولا مصطلح (السرسام)، وهو الاسم الذي أطلقه علماء الإسلام على الورم الدماغي وعزوا إليه الحُبْسة في الكلام[١]، وهي الحبسة المعروفة حاليًا بحبسة (بروكا) نسبة إلى الطبيب الفرنسي الذي قرّر مخبريًا مسألة فَقْد المريض لمقدرته الكلامية، كلها أو بعضها، إذا ما أُصيب بجلطة أو بضربة في النصف الأيسر من دماغه[٢].

وكذلك تَعْتِب ههنا مساهمات علماء الإسلام الأُوَل في علم التجويد، والموسيقى، والبلاغة، فلم تستوعب جهودهم في مسألة النطق والكلام، علوم عصرهم حسْبُ، وإنما تجاوزتها صلاحية وديمومية لتتوافق مع علوم الزمان، الذي به اليوم نحيا. ولا يُعرَفُ أن وَحْدة من مصطلحاتهم الوفيرة قد اهتزت قيمتها، أو تعاندت دلالتها مع نظائرها المعتمدة حاليًا في هذا المجال، وبخاصة في اللغويات التطبيقية/ العصبية.

١- أحمد حابس: الحبسة وأنواعها، دراسة في علم أمراض الكلام، ص٢٢.

٢- محمود الحاج قاسم، عيوب النطق والكلام لدى الأطباء العرب والمسلمين، المجلة الثقافية، ص١٤.

ومع التسليم بأن أنظار العلماء المسلمين قديمًا لم تنضوِ ولم تنتظم في إطار النظريات المحكمة، وبقيت في حدود المعرفة الثقافية، لا العلم الثقافي؛ إلاّ أنها في ريادتها المبكرة تُعدّ متميزة وجديرة بالتنويه والدراسة، ودافعًا قويًا للأجيال الخالفة لِتُعيد الأمجاد السالفة، وأسفله يمتد التكلم إلى عيوب النطق والكلام، وأوضاعها وتمثيلاتها، مع الإشارة إلى أن العيوب الواردة في البحث هي بمثابة العَيِّنة، أو "البؤرة الجديدة" التي تكرّرت أخبارها في لغويات التراث العباسي، وتكرّرت في غير مؤلَّف مشهور من مؤلفات ذلك العصر، وفي جملة ما يُحصَّل باليد منها كفاية للقياس وللتقويم.

عيوب النطق الصوتية:

الكلام الذي يحقّق وضوحًا في المخارج والصفات، وجهارة في النبر والنغمات، وتقطيعًا وإبرازًا في المعاني والدلالات؛ لا غَرْو أنه كلام قد تَمَّت له وفيه خصائص وخواص اللغة الإعلامية الناجعة، والإبلاغية الواضحة؛ منطوقًا كان هذا الكلام أم مكتوبًا. ولقد كان هذا النمط من الكلام نمطًا لازبًا، وعُرفًا ساريًا في لغة الثقافة العربية الأولى، منذ ابتدأ فجرها الحضاري بظهور الإسلام في القرن السادس للميلاد. وندُر ونزُر أن تقع باليد كتابات خارجة عن هذا النسق، اللهُمَّ إلاّ ما كان شأنه الظَّرافة والتملُّح بالفكاهة، والتسمية الواصفة للغة الثقافة تلك مشهورة ومُعْلَمة بـــ(العربية الفصحى)[٣].

٣- الأقطش، عبد الحميد، حول حقيقة الفصحى، ص٦٤.

فأمّا الكلام الذي لا تتحقق فيه الصفات الآنفة، فهو كلام خارج عن المعيارية الواجبة، أو عن النظام اللغوي المألوف، وخروجه قد يكون في الجانب النطقي الصوتي، أو الصرفي، أو التركيبي، أو الدلالي. وكلها تُوصَف بالعيوب الواجب تحاشيها. واعتناء البحث موقوف على العيوب الأولى؛ أي عيوب النطق.

وظاهرة عيوب النطق هذه تدرس عمليًا من ناحيتيْن، ناحية تقنية، وأخرى أدائية. وفي الأولى يكون الاهتمام بالجانب السمعي للصوت (أكوستيكيًا) في عناصره المؤثرة في شدَّته، أو حِدّته، أو تزمينه، أو انتشاره. وليس من اعتناء البحث مقاربة هذه الناحية، وفي الثانية يكون الاهتمام بالجانب البنائي للصوت؛ مفردًا في وحدة صوتية مغلقة على ملامح تمييزية خاصة بها، أو مركبًا في وحدات صوتية متآلفة ومفتوحة على صرفيات فما فوقها من قطع تركيبية تنتظمها. وكلتا هاتين الصورتين هما موضع المقاربة والاهتمام في هذا البحث. ونلاحظ في ضوء العيوب النطقية المتحصلة باليد من أَثَرات التراث اللغوي العربي أنها متمحورة حول صنفيْن من العيوب، وهما: عيوب النطق الفردي، وعيوب النطق الجماعي. وأدناه يمتد التكلم إلى الصنف الأول.

أولاً: عيوب النطق الفردية

تتناثر عيوب النطق الفردية في فضاءات مبعثرة من مؤلفات التراث العربي القديم؛ في حواشي قولات، أو هوامش تعليقات، أو شوارد إخباريات، لدى التكلم في مسائل عن أسرار الفصاحة، أو مقتضيات البلاغة، أو صحة القراءات القرآنية؛ وخصوصًا عند علماء مثل: الجاحظ (٢٥٥ هـ)، وابن قتيبة (٢٧٦هـ)، والمبرد (٢٨٥هـ)، وابن جني (٣٩١هـ)، وابن فارس (٣٩٥هـ)، والثعالبي (٤٢٥هـ). والجاحظ أوسع وأعمق من الجميع تدقيقًا وتمثيلاً لهذه العيوب.

وبعامة النظر، تتعلق هذه العيوب النطقية في لغويات التراث العربي العام، بفئة الأعمار البالغين لسنِّ الرُّشد، ممّن تجاوزوا لدانة الطفولة أصلاً. وتلك مسألة بَدَهِية في منهجية الثقافة والمثقفين عصر ذاك، حيث الاهتمام بالكلام الرسمي الفصيح (اللغة الفصحى). والثقافة يتعاطاها المتنوّرون بفقه اللغة العربية الفصحى، وبلا إشراف ولا تخطيط من الإدارات السياسية الحاكمة. فأمر التعليم كله موكول إلى التعليم الخاص، والذي يبرمجه الأشياخ العلماء بكل علم على حِدَته، وأولئك هم أمراء التخطيط، أمراء التنفيذ.

ولم يتوافر للبحث، على طول المشاغلة، ودوام الانتباه أن عيوب الكلام عند الأفراد الأطفال قد حظيت بمكانة من الدراسة أو التدريس،على عكس حالها حاليًا، فهي باتت هَمًّا يؤرِّق الوالدِين والرسميين، والعلماء، ومنهم

علماء التربية وعلماء اللغويات التطبيقية العصبية، فضلاً عن علماء الجراحة والأعصاب.

ومن ناحية أخرى، فلا مِرْية أن عيوب الأطفال عيوب مرحلية مؤقّتة؛ لعدم اكتمال جهاز النطق والسمع فيهم، ومن ثمّ يكون طبيعيًا أن تتمظهر على ألسنتهم؛ أي الأطفال صور كلامية، سليمة وخاطئة. وفي الخاطئة تُلاحَظ عيوبٌ في نطق الكلام على شاكلة محذوفات، أو إبدالات، أو إضافات، أو تحريفات، أو غير ذلك ممّا هو مخالف وخارج عن حدِّ الاستقامة في الكلام الفصيح. وبعضٌ من هذه العيوب والاضطرابات النطقية قد تستمر إلى مرحلة الطفولة الثانية إلى سنِّ التاسعة تقريبًا، ثم تتحسّن بعد ذلك عملية النطق لدى الأفراد الأطفال؛ حتى إذا تأخّرت عن تلك السنّ، فقد أصبحت العيوب عيوب الأفراد الكبار، ومن ثمّ فهي مشكلة، وتتطلّب تشخيصًا ومعالجة[٤]. وذلك شيءٌ قد وقف إليه بعض علماء السلف، وناقشوا عيوبه على أنها عيوبات متعددة، وميّزوا فيها بين نوعيْن من العيوب، وهما: عيوب نطقية مرضية، وعيوب نطقية سلوكية...

٤- حمزة السعيد، العيوب الإبدالية عند الأطفال ما بين ٣-٧ سنوات، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ص٦٢، ١٩٩٩م.

أ) العيوب النطقية المرضية:

تختص العيوب الداخلة ضمن هذه المجموعة بعلل عضوية مرضية، ينجم عن وجودها وجود خلل في الكلام؛ في الأصوات مفردة بنفسها، أو متآلفة بنائيًا مع غيرها. وتتوزّع العيوب المتحصلة في هذا المقام، على خمس صور، وهي: عيوب نطقية مستدامة. وعيوب في تَعَطُّل النطق مؤقتًا، وعيوب في لعثمة النطق، وعيوب في تداخُل النطق، وعيوب في استبدال النطق.

١- عيوب النطق المستدامة(٥):

ثمة فئة من الأفراد تتَعَذَّر فيهم عملية النطق، ابتداءً منذ ولادتهم، وتظل خِلْقَة مستدامة فيهم، جرّاء اضطرابات مرضية بإحدى المراكز المسئولة عن إنتاج الكلام في أدمغتهم، وغالبًا أثناء فترة الحمل والولادة. وقد ذكر علماء السلف عن هذا المفهوم مصطلحيْن لغويّيْن، وهما: البَكَم والخَرَس.

- **البكَم**: مصدر بزنة "فَعَل"، من فعل ثلاثي لازم "باب: فعل: يَفْعَل" في الدلالة على عجز خلقي عن النطق، من أمراض ما قبل الولادة، وراثةً أو عطبًا عضويًا، وهو يؤثّر على الفهم، ويُبَطِّئ التفاعل الاجتماعي. والمصطلح أساسًا مستمد من لغة القرآن الكريم في المقابلة بين (العاطل والعامل)، (وضرب الله

٥- الجاحظ، البيان والتبيين، ٣٤/١، المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ٧٦١/٢، الثعالبي، فقه اللغة، ص٥٠، ابن جني، سر صناعة الإعراب، ١٩٧/١، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٤٧٢/٢، السيوطي، المزهر في علوم اللغة وآدابها، ٢٢٢/١، ابن البناء، بيان العيوب التي يجب أن يتجنّبها القُرَّاء، ص٥٥.

مثلاً رجليْن أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كلٌّ على مولاه أينما يوجّهه لا يأتِ بخير هل يستوي هو ومَن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) [سورة النحل: ٧٦] (٦).

- **الخَرَس:** مصدر بزنة "فَعَل" من فعل ثلاثي لازم، باب: فعِل: يَفْعَل، في الدلالة على بكامة النطق، فلا يسمع له صوت ولا صدى، إمّا خِلْقةً، أو تَعَمُّدًا عند المساكتة عنه(٧).

٢- عيوب في تعَطُّل النطق مؤقتًا(٨):

يُلاحَظ أن فئة من الأفراد تتعطّل فيهم القدرة اللغوية عند إرادة افتتاح الكلام، وأحيانًا أثناء استمرار التواصل به. ويكون ذلك جزئيًا في العادة. وربما وقع كليًا، على الرغم من توافُر السلامة في الفهم، والسلامة في الإدراك لدى المصابين هؤلاء. وعبّر علماء السلف عن هذا المفهوم من خلال بضعة المصطلحات اللغوية الموالية، وهي: الحُبْسة، والعُقْلة، والعَيّ، والحَصْر، واللَّوَث، واللَّفَف.

- **الحُبْسَة:** مصدر بزنة "فُعْلَة، من فعل ثلاثي متعدٍّ، باب فَعَل: يَفْعَل"، في الدلالة على ثقل في اللسان، يُؤدي إلى احتباسه جزئيًا أو كليًا عن الإبانة. وقد

٦- الجمهرة: مادة "بكم".

٧- الجمهرة: مادة "خرس".

٨- حاشية رقم (٥).

غدت الحبسة مصطلحًا مشهورًا في اللغويات التطبيقية/ العصبية، في توصيف عيوب الكلام الناجمة عن جلطة دماغية، أو ضربة مباشرة على الرأس، ومعروفة بحبسة (بروكا) (٩).

- **العُقْلَة**: مصدر بزنة "فُعْلَة، من ثلاثي متعدٍّ، باب: فَعَل"، في الدلالة على ثقل اللسان، يؤدي إلى قبضه وتقييده جزئيًا أو كليًا عن النطق، فلا تظهر منه ولا عليه منطوقات من عُقْلَة الدابة؛ أي قيْدها، وهي الحبسة نفسها(١٠).

- **العَيُّ**: مصدر بزنة "فَعْل، من فعل ثلاثي لازم، باب فَعِل: يَفْعَل"، في الدلالة على عجز مؤقت عن النطق، وعدم قدرة الفرد على إعلان مقاصده؛ لتعب بدني، أو اضطراب نفسي. وعند الجاحظ هو من العزلة الاجتماعية، يقول: "أخزى الله المساكتة، فما أسوأ أثرها على اللسان، وأجلبها للعَيِّ والحصر"(١١).

٩- حاشية رقم (١).

١٠- الجمهرة، مادة "عقل".

١١- الجاحظ، ١/ ٣٨.

١٢- الجمهرة، مادة (حصر).

- **الحَصْر**: مصدر بزنة "فَعْل، من فعل ثلاثي لازم، باب: فَعِل: يَفْعَل، في الدلالة على تعذُّر عن النطق مؤقتًا، من جهالة أو رهبة، وهو مرادف للعيّ[١٢].

- **اللَّوَث**: مصدر بزنة: فَعَل، من فعل ثلاثي لازم، باب: فَعِل: يَفْعَل"، في الدلالة على التواء اللسان من عَييّ أو حبسة، فيخرج النطق بطيئًا متقطّعًا مُجَزَّأً، مع نقص في الإبانة والوضوح، ويقال بالياء: اللَّيث، ويصحف إلى "اللَّيَغ"[١٣].

- **اللّفف**: مصدر بزنة "فَعَل، من فعل ثلاثي لازم، باب: فَعَل: يَفْعَل"، في الدلالة على عيٍّ وبطء في النطق، وربما مع صمت وقطع عن مواصلته. ونقل الجاحظ[١٤] أن اللفف اعترى محمد بن الجهم أيام محاربة الزّط من طول تفكير ولزوم صمت، وذكر عنه من الرجز قولهم فيه:

كَأَنَّ فيه لَفَفًا إذا نَطَقْ مِنْ طُولِ تَحْبيس وهمٍّ وَأَرَق

١٣- الجمهرة: مادة "لوث"، والسيوطي، المزهر، ١/ ٤٣٣.

١٤- الجاحظ: ٣٨/١، الثعالبي، ص١٥٠.

٣- عيوب في لعثمة النطق[١٥]:

تضمّنت لغويات التراث اللغوي العربي العام إشارات إلى عيوب نطقية مرضية، خاصة بالأفراد دون الجماعات، وناجمة عن أزمة في وظائف الجهاز النطقي من حَصْر أو عيّ، يتأثّر بها النطق، ولا يُخِلّ بسلامة الفهم، وعُبِّر عن هذا المفهوم بمصطلحات لغوية موافقة، وأشهرها الموالية، وهي: التأتأة، والتمتمة، والثأثأة، والفأفأة، والتعتعة.. وكثرت الإشارة إليها عند الثعالبي، وابن البناء.

- **التأتأة:** مصدر بزنة "فَعْلَلَة"، من فعل رباعي لازم، في الدلالة على توقّف متكرّر وغير طبيعي عند نطق الكلام، مع ترديد اللسان لصوت التاء، كمن يخطئ موضع الصوت، فهو يرجع إليه مرة بعد مرة[١٦].
- **التمتمة:** مصدر بزنة "فَعْلَلَة"، من فعل رباعي لازم، في الدلالة على الترديد في نطق التاء[١٧].
- **الثأثأة:** مصدر بزنة "فَعْلَلَة"، من فعل رباعي لازم في الدلالة على تردد اللسان في نطق الثاء[١٨].

١٥- المبرد، الكامل، ٧٦٥/٢، الثعالبي، فقه اللغة، ص١٥٠، ابن البناء، بيان العيوب، ص٥٥، العوتبي، كتاب الإبانة في اللغة العربية، ٣٨/١، الجاحظ: البيان والتبيين، ٣٨/١.

١٦- حمزة السعيد، التأتأة، المظاهر والأسباب وطرق العلاج، ص٢٠٩، والجاحظ: ٣٧/١.

١٧- الجاحظ: ١/ ٣٧، الثعالبي، ص١٥٠.

١٨- الثعالبي، ص١٥٠.

- **الفأفأة**: مصدر بزنة "فَعْلَلَة"، من فعل رباعي لازم، في الدلالة على تردد اللسان في نطق الفاء(١٩).
- **التَعتعة**: مصدر بزنة "فَعْلَلَة"، فعل رباعي لازم، في الدلالة على تردد اللسان في نطق مطلق المقاطع الصوتية(٢٠).

٤- عيوب في تداخُل النطق:

الإشارة إلى تداخُل النطق في لغويات التراث كانت محدودة نسبيًا، والمتحصل منها يتعلق بتداخُل مخارج الأصوات بعضها مع بعضها الآخر، وحول هذا المفهوم يعثر الباحث على مصطلحيْن لغوييْن، وهما: الخنَب، والخنخنة.

- **الخَنَب**: مصدر بزنة "فَعَل"، من فعل ثلاثي لازم، باب "فَعِل، يَفْعَل"، في الدلالة على داء في الأنف، يؤدي إلى اختلاط مخارج الأصوات في مَمَرّ "فموي، أنفي" معًا؛ ممّا يشوّه النطق، ويصعّب الفهم(٢١).
- **الخَنْخَنة**: مصدر بزنة "فَعْلَلَة"، من فعل رباعي لازم في الدلالة على تردد النطق من الفم والأنف معًا، بصورة مشوهة، تُصعِّب الفهم، وهي الخَنَب نفسه(٢٢).

١٩- الثعالبي، ص١٥٠.

٢٠- المبرد، ٧٦١/٢.

٢١- الجمهرة: مادة "خنب".

٥- عيوب في استبدال النطق:

تُسهب لغويات التراث العام في التكلم عن عيب جليٍّ في الاستبدالات النطقية، التي يَحِلُّ فيها صوت مقام غيره، ولكن دون خوض في الأسباب الموجِبة لذلك أهي عضوية أم وراثية، أم نفسية. وتتوسّع هذه الاستبدالات ما بين مؤلف وآخر، فتارةً تقتصر على صوت الراء، وتارةً تمتد إلى أصوات غيرها: (السين، القاف، اللام، الطاء، والذال)، حتى يَصْعُبُ الفصل بين ما هو عيب نطقي، وما هو إبدال لهجي. والمصطلح اللغوي المشهور ههنا هو: اللثغة، وأكثرها مختص بصوتيْ الراء لما فيه من ثقل التكرار، والسين لما فيه من تعب الصفير(٢٣).

- **اللثغة**: مصدر بزنة فُعْلَة، من فعل ثلاثي لازم، باب "فَعِل، يَفْعَل"، في الدلالة على عيب نطقي تُستبدَل فيه الراء بالغين، أو اللام، أو الياء. وتُستبدَل السين بالثاء، والقاف بالظاء، والظاء بالذال وهكذا عند الجاحظ(٢٤)، وأما عند المبرد، فاللثغة: العدول من حرف إلى حرف(٢٥). وثمة خبر يرويه الجاحظ عن لثغة واصل بن عطاء، ومفادُها أنه لا يذكر الكلمات التي فيها حرف الراء، ويستعيض عنها بكلمات أُخر؛ كالغيث بدل المطر، وهذا من حُسْن التصرُّف من واصل

٢٢- الجمهرة: مادة "خنن".

٢٣- سليمان العايد، اللثغ بالراء، ص٩٢، وحاشية رقم (١٥).

٢٤- الجاحظ: ١/ ٣٤.

٢٥- المبرد، ٢/ ٧٦١.

بن عطاء، وكذلك يروي الجاحظ أن رجلاً طلّق زوجته؛ لأنها لثغاء؛ مخافة أن يكون له منها ولد ألثغ، فأنشد قائلاً:

لَثْغَاءُ تأتي بِحَيْفَسٍ أَلْثَغِ تَميسُ في الموشّى والمُصَبَّغِ(٢٦)

ومن الأمثلة الموافقة للّثغة عند الجاحظ؛ قولهم في يَكْسُوم: يكثوم، وفي اعْتَلَلْت: اعْتَيَيْت، وفي جَمَل: جَمَيْ، وفي عُمَر: عُمَيْ، وفي مَرَّة: مَغَّة. وعليه إنشادهم لبيت عمر بن أبي ربيعة:

فاسْتَبَدَّت مَغَّةً واحدةً إنَّما العاجزُ مَنْ لا يَسْتَبِدُّ

وفي معجم تاج العروس، يرد بيت من الشعر على صورته السليمة، وصورته الملثوغة، وهو:

تَشْربُ المُنْكَرَ الحرامَ وريقي أَحْمَرٌ سُكَّرٌ شَرَابٌ مُكَرَّر

تشغب المنكغ الحغام وغيقي أحمغ سكغ شغاب مكغّغِ

ب- عيوب النطق السلوكية:

امتدّ تكلُّم علماء السلف عن العيوب النطقية الفردية إلى نوع آخر منها، ليس له خصيصة مرضية، بل سلوكية، ومتعلّق أساسًا بميكانيكية نطق العيوب نفسها، من حيث السلاسة والسلامة فيها؛ تركيبيًا وفوق تركيبيّ. ويمكن في هذا المقام التمييز

٢٦- الجاحظ: ١/ ٥٧.

بين أربعة العيوب الموالية، وهي: العجلة في النطق، والتلكُّؤ والإبهام في النطق، والغلاظة في النطق، والعجمة في النطق.

١- عيوب العجلة في النطق:

كثيرًا ما تقود العجلة الزائدة في العملية النطقية إلى أن يخرج الكلام مُلتبسًا في وضوحه السمعي، ومشوهًا في صياغة تراكيبه، يُحذف منه أو يُضاف عليه، ومن ثمّ يظهر خارجًا عن حدِّ الفصاحة. وهو ما أدركه علماء السلف القدماء، وعبّروا عن ذلك بمصطلحات لغوية؛ مثل: الهذرمة، البعبعة، والهتهتة.

- **الهَذْرَمَة:** مصدر بزنة "فَعْلَلَة"، من فعل رباعي لازم، في الدلالة على تتابُع النطق في كلام لا يُعبَأ به؛ أي سقَط كلام(٢٧).
- **البعْبَعَة:** مصدر بزنة "فَعْلَلَة"، من فعل رباعي لازم، في الدلالة على تتابُع النطق في عجلة مع السَخَط النفسي والعصبي، ومن غير إبانة عن المقصود(٢٨).
- **الهَتْهَتَة:** مصدر بزنة "فَعْلَلَة"، من فعل رباعي لازم، في الدلالة على السرعة مع عدم الوضوح في النطق، والترديد في المقاطع الصوتية(٢٩).
-

٢٧- الجمهرة، مادة "هذرم"، الثعالبي، ص١٥١.
٢٨- الجمهرة، مادة "بعبع"، الثعالبي، ص١٥١.
٢٩- الثعالبي، ص١٥١.

٢- عيوب التلكُّؤ والإبهام في النطق:

أشار علماء السلف القدماء إلى الاضطرابات النطقية المتعلقة بعدم القدرة على تشكيل الأصوات اللازمة للتراكيب اللغوية تشكيلاً سليمًا، فذكروا مصطلحات لغوية ؛ مثل: اللجلجة، الغمغمة ، والمقمقة.

- **اللَّجْلَجَة**: مصدر بزنة "فَعْلَلَة"، من فعل رباعي لازم، في الدلالة على التلعثم والتلكُّؤ في النطق مع ضعف الإبانة، وتداخُل الأصوات(٣٠).
- **الغَمْغَمَة**: مصدر بزنة "فَعْلَلَة"، من فعل رباعي لازم، في الدلالة على النطق المُلْبِس المتداخِل بعضه في بعض مع الصوت الخفيض(٣١).
- **المَقْمَقَة**: مصدر بزنة "فَعْلَلَة"، من فعل رباعي لازم، في الدلالة على ثقل في النطق، واعتماد على أصوات أقصى الحنك مع عدم الوضوح(٣٢).

٣- عيوب الغلاظة والجفاء في النطق:

تتعلّق هذه العيوب بمسألة التطريزات أو التلاوين النطقية غير التركيبية (فوق التركيبية)، وتشويه استعمالها على غير النظام المألوف في النطق السليم الفصيح. وكانت مَشْغَلة اهتم بها علماء النقد والبلاغة وعلماء التجويد، فعاب الأُول في

٣٠- الجاحظ، ١/٤٠، ابن البناء، ص٣٧.

٣١- ابن البناء، ص,٣٧

٣٢- الثعالبي، ص١٥٠.

طريقة النطق اسْتِكداد اللسان بالتشادُق والمعاظلة والتقعير، وعاب الأُخر "اسْتِكداده النطق باللحن الخفي بتكرير الراءات أو تطنين النونات أو تغليظ اللامات أو الجهر الصاعق، أو الضغط الزاهق، أو تشديد المُلَيَّن، أو تلبين المُشدَّد"(٣٣)، ويقول ابن الجزري عن العيوب غير التركيبية: "وذلك غير مخلّ بالمعنى، ولا مُقصِّر باللفظ، وإنما الخلل الداخل على اللفظ فساد رونقه، وحُسْنه وطلاوته، من حيث إنه جارٍ مجرى الرُّتّة واللّثغة"(٣٤).

وليست الكتابة بقادرة على إظهار مثل هذه العيوب فوق التركيبية، وهي: لا تتبيّن إلاّ بالمشافهة. ولدى اللغويين القدماء تندرج في مثل هذه المظاهر النطقية غير التركيبية تحت التسمية باللحن وبالخطأ.

- **اللحن**: مصْدر بزنة "فَعْل"، من فعل ثلاثي لازم، باب: فَعَل- يَفْعَل، في الدلالة على مَنْ زَلَّ أو أخطأ الوجه الصحيح في قواعد العربية، منطوقًا أم مكتوبًا.
- **الخطأ**: مصدر بزنة "فَعَل"، من فعل ثلاثي لازم، باب: فَعِل- يَفْعَل، في الدلالة على عكس الصواب، من غير عمد، ولنقْص في الكفاية اللغوية.

٣٣- ابن البناء، ص٣٣.

٣٤- ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، ص,٣٧

٤- عيوب العجمة في النطق:

لا خلاف بين اللغويين، بعامة، قدماء ومحدثين، أن العربية في ألسنة الناطقين بغيرها تختلف عنها في ألسنة الناطقين بها من العرب أنفسهم؛ نظرًا لاختلاف المباني والمعاني بين الأجناس البشرية. وقلّما تقاربت فصاحة غير العربي بالعربية مع نظائرها عند العربي، اللهمّ إلاّ فيمَن عَلِقها منهم صغيرًا. ومن نَقْص الكفاية اللغوية عند غير العربي في العربية نُعِت لسانُهم بـــ(الأعجمي)، إذا لم يكن فصيحًا (لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) [النحل: ١٠٣]. وبات كلُّ مَنْ ينتمي إلى أُرومة غير عربية يُعْرَف باسم الجنس "عَجَم"، والواحد "عَجميّ"، خلاف العربي، وربّما تخصّص المصطلح ليكون عَلَمًا على الفرس خاصة؛ لقرب ديارهم من ديار العرب، وكثرة تخالُط العرب وإيّاهم.

وتنبّه علماء السلف القدامى إلى عيوب هؤلاء العجم في نطقهم للعربية، وذكروا المصطلحات اللغوية الموافقة بأسفله، وهي: العجمة، الحكلة، الرُّتة، واللكنة(٣٥).

- **العُجمة:** مصدر بزنة "فُعْلَة"، من فعل ثلاثي لازم، باب: فَعُل- يَفْعُل، في الدلالة على تخالط النطقيْن العربي والعجمي بعضهما ببعضما الآخر، فلا تعرف المعاني إلاّ بالاستدلال والقرائن(٣٦).

٣٥- الجاحظ، ١/ ٤٠، الثعالبي، ص١٥٠، ابن جني، ١/ ٢٠٣.

٣٦- الجمهرة، مادة "عجم".

- **الحُكْلَة**: مصدر بزنة "فُعْلَة"، من فعل ثلاثي لازم، باب: فَعَل- يَفْعُل، في الدلالة على التباس النطق وعجز اللسان عن إبانة الكلام العربي(٣٧).
- **الرُّتة**: مصدر بزنة "فُعْلَة"، من فعل ثلاثي لازم، باب: فُعَل- يَفْعَل، في الدلالة على إدخال أصوات العجم بأصوات العرب، فلا يَسْتبين الكلام، وهي كاللثغة عند العرب، تعود لأسباب وراثية بيئية أو عضوية. وكذلك وصف تحوّل الصوت من الشين إلى السين في قول "سُحَيْم":

  لو كُنْتُ وَرْدًا لونُهُ لَعَسِقْتَنِي ولَكِنَّ رَبّي سَانَنِي بِسَوَادِيَا

- قال ابن جني: فإنما قلب الشين سينًا، في: عسقتني، سانني؛ لضعف عبارته عن الشين، وليس ذلك بلغة، وإنما هو كاللثغ(٣٨).
- **اللُّكْنَة**: مصدر بزنة "فُعْلَة"، من فعل ثلاثي لازم، باب: فَعِل- يَفْعِل، في الدلالة على مَن صعُب عليه الإفصاح بالعربية من العجم، فجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول. وأكثر لكنات العجم في نطق أصوات:

  ح ← هـ، ع ← أ، ق ← ك، ض ← د

  ط ← ت، ظ ← ز، ج ، ← ز← ذد

- مرْحَبًا ← مرْهَبًا ← عَسَل ← أَسَل ← قَمَر ← كَمَر

٣٧- الجاحظ، ١/٤٠.

٣٨- ابن جني، ١/٢٠٣.

- أَبْيَض ← أَبْيَد ← سُلْطان ← سُلْتان ← أَظُنُّ ← أَزُنُّ
- جَمَل ← زَمَل ← جُرْذ ← جُرْد(٣٩).

وقد يُشَار ههنا إلى أن لحن العجمة على مَذَمَّته ورفضه قد كان يُسْتَمْلَح أحيانًا، وذلك عند قصد التَفكُّه والظَرَف، يقول الجاحظ: واللحن من الجواري الظِّراف، ومن الكواعب النواهد، ومن الشَّوابّ المِلاح. ومن ذوات الخدور الغرائر أَيْسَرُ، وربّما استملح الرجل ذلك منهنّ، ما لم تكن الجارية صاحبة تكلُّف(٤٠).

- **الرُّطانَة:** مصدر بزنة "فَعَالة"، من فعل ثلاثي لازم، باب "فَعَل- يَفْعُل، في الدلالة على مَن تكلم لغة غير مفهومة فيها خليط من الأعجمية والعامية العربية. (٤١)

ثانيًا: عيوب النطق الجماعية

في العادة، فإن الأصوات اللغوية المشتركة، والمنجزة على هيئة واحدة، في بيئة لغوية واحدة، قَصْدِيَّة كانت أم اختيارية، تُعَدُّ جزءًا من السليقة اللغوية، ومن ثمّ فهي ذات مشروعية ومقبولية في بيئتها الاجتماعية الجماعية. ولا يستقيم نعتها

٣٩- الأقطش، اللحن على ألسنة العجم، ص٥٩.
٤٠- الجاحظ، ١/ ١٤٦.
٤١- الجمهرة، مادة "رطن".

بالمذمومة، والمعيبة، وتشكّك اللغويات المعاصرة كثيرًا في مسألة المفاضلة بين الأصوات اللغوية، بوصفها أصواتًا جامدة، قد ارتضتها الجماعة اللغوية المعنية، فذلك يتعارض مع الوظيفة التواصلية للغة في المجتمع البشري.

على أن لغويات التراث اللغوي العربي العام تُطالعنا، ضمن حيز عيوب النطق الجماعية، بنوعيْن من العيوب، فأمّا نوع فمتعلّق بمستوى النسيج المقطعي الصرفي، المكوّن للمفردات اللغوية، وأمّا نوع آخر، فمتعلّق بالأصوات المفردة في حدّ ذاتها، والأول متعلّق بلهجات عربية مذمومة، والثاني بأصوات أعجمية مرذولة.

أ- عيوب اللهجات العربية المذمومة:

في الخبر المتكرّر في المؤلفات التراثية يسأل معاوية يومًا جلساءه: "مَن أفصحُ الناس؟ فقال قائل: قوم ارتفعوا عن لَخْلَخانيَّة الفرات، وتيامنوا عن عَنْعَنَة تميم، وتياسروا عن كَسْكَسَة بكر، ليست لهم غَمْغَمَة قضاعة، ولا طمْطَمَانية حمير. قال: مَن هؤلاء؟ قال: قريش، قومك يا أمير المؤمنين"(٤٢).

ومن الواضح أن الذين يمارسون نطقهم وفق هذه المفاهيم الواردة في النص، إنما يمارسون نطقًا مذمومًا. على الرغم من كون ذلك عادةً في قبائلهم،

٤٢- المبرد، ٢/٢٢٣، الجاحظ، ٣/ ٢١٢، ابن عبد ربه: ٢/٤٧٨.

لكنها عادة مختلفة ومخالفة لمعيارية النطق بالعربية الفصحى، والمنشودة في مخاطبة ذوي الشأن.

وغير شك أن معيار الفصاحة من عدمها في قبول اللهجة أو رفض غيرها، لم يكن عند علماء السلف القدامى، محكومًا بأسباب تفكيكية لغوية، وإنّما بأسباب سياسية أولاً، واجتماعية ودينية ثانيًا، ومزيد من التفصيلات ههنا، مِمَّا يخرج بالبحث عن مقتضاه(٤٣). ومن المفارقة ههنا أن بعضًا من عيوب اللهجات هذه قد وردت بها قراءات قرآنية. وتاليًا تُذكَر المصطلحات اللغوية الواردة عن هذه العيوب اللهجية، وعددها اثنا عشر مصطلحًا، وهي: (الاستنطاء، التلتلة، الشنشنة، الطمطمانية، العنعنة، الفحفحة، اللخلخة، الكسكسة، الكشكشة، الوتم، الوكم، والوهم).

❖ **الاستنطاء**(٤٤): مصدر بزنة "استفعال"، فيه تصبح العين الساكنة نونًا عند مجاورة الطاء في لهجة سعد بن بكر، وهذيل، والأزد، وقيس، وأهل اليمن، ومنه قراءة (إنّا أعطيناك الكوثر) [الكوثر:١]. [أنطَيْنَاك]. وفي الحديث الشريف "اللهم لا مانع لما أنطيت"(٤٥) وفي الدراسات المقارنة ليست هذه مسألة إبدال، وإنما تقارُض لغوي من الفعل (أتى) بمعنى

٤٣- الأقطش، طليعة التفكير اللغوي، ص٢١٠.

٤٤- الحريري، درة الغواص، ص١٨٣، البغدادي، خزانة الأدب، ٤/ ٥٩٦، السيوطي: المزهر، ٢٢٢/١.

٤٥- الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، ٥/ ٧٦.

أعطى في الساميات الشمالية، ثم ضُعِّف، فصار (أَتَّى)، ثم فكّ الإدغام بإبدال أحد المتجانسيْن نونًا كمثله في جَدَّل وجندل.

❖ **التَّلْتَلَة**(٤٦): مصدر بزنة "فَعْلَلَة"، وفيها تُكْسَر حروف المضارعة، ومنه قراءة: (إيّاك نِستعينِ) [الفاتحة: ٥]، وقراءة: (يوم تبيضّ وجوهٌ وتِسودّ وجوه) [آل عمران: ١٠٣]، بكسر النون والتاء، وفي قراءة (ألم إِعهد إليكم) [يس: ٦٠], بكسر الهمزة في (إِعهد)، وهي لهجة بهراء وتميم، وكذلك تُكْسَر حروف المضارعة باطّراد في الساميات الشمالية عبري وسرياني. ومن الشعر القديم قولهم:

لو قلتَ ما في قومِها لم تِيثمِ يَفْضُلُها في حسبٍ وميْسمِ

❖ **الشَّنْشَنَة**(٤٧): مصدر بزنة "فَعْلَلَة"، وفيها تُبدَل الكاف شينًا خالصة، في لهجة تغلب، وبكر بن وائل، وبعض حمير، وهي مسموعة في عبارة التلبية (لبيك اللهم لبيك)، [لبيش اللهم لبيش]، ويُرجّح أنها نفسها الكشكشة، والصوت المسموع هو صوت مركب من كاف وشين (چ)، وهو صوت لا تمثيل كتابيًا له في الإملاء العربي، ونطقه بالشنشنة ليس مقصورًا على الكاف المكسورة أو المجاورة للكسرة، بل مع مطلق الكاف الفصيحة، وله سماع في لهجات العراق وفلسطين حاليًا.

٤٦- ابن السراج، أصول النحو، ٣/٢٧١.

٤٧- أبو حيان، الارتشاف، ١/٤٠٦، السيوطي، ١/ ٢٢٢.

❖ **الطمطمانية**[٤٨]: مصدر منسوب من بناء "فَعْلَل"، فيها تبدَل لام التعريف ميمًا، ومنه الحديث: "ليس من أم برٍّ أم صيام في أم سفر" بدل البر والصيام والسفر، ومنه قول ذي الكلاع الحميري (عليك امْرَأيْ وعلينا امْفعال)؛ أي عليك الرأي وعلينا الفعال، وهي لهجة طيئ والأزد وحمير وبعض اليمن، وما تزال مسموعة لليوم بنواحي صعدة، فيُقَال (طاب ام الهواء= الهواء) وتكثر مع ال الشمسية خاصة.

❖ **العنعنة**[٤٩]: مصدر بزنة "فَعْلَلَة"، وفيها تبدل الهمزة المفتوحة عينًا، في لهجة تميم وقيس من قبائل شرق ووسط الجزيرة، فيقال: "أشهد عَنَّك رسول الله"، في [أَنَّك]، وهي مسموعة لليوم كنوع من تحقيق الهمزة بأول البنية أو وسطها وحتى ذيلها (حقًا لأنَّك) [لَعَنَّكَ]، لَأْ: لع، سأل: سعل ، وأن: عنْ، ومنه في الشعر القديم:

أعَنْ تغَنَّتْ على ساقٍ مُطَوَّقةٌ ورقاءُ تدعو هديلاً فوق أعواد

أَعَنْ تَرَسَّمْتَ مِنْ خرْقَاءَ مترلةً ماءُ الصَّبابَةِ مِن عيْنَيْكَ مَسْجُوم

ففي الجميع تتحوّل الهمزة المهموسة إلى عين مجهورة؛ طلبًا للوضوح السمعي.

٤٨- الحريري، درة الغواص، ١٨٣، ابن جني، ٩٢/١، السيوطي، ٢٣٩/١.

٤٩- ابن جني، ٢٣٤/١، أبو حيان، ١٣٠/١، البغدادي، ٤٦٦/١١.

❖ **الفحفحة**(٥٠): مصدر بزنة "فَعْلَلَة"، وفيها تبدل الحاء عينًا، ومنه في قراءة (ليسجنّنه حتى حين) [يوسف: ٣٥]: [عَتَى]، وفي قراءة (ألم أعهد إليكم)[يس: ٦٠]: (أَحْهَد)، وذلك في لهجة هذيل، وربما هي من التقارض اللغوي مع الساميات الشمالية والحميرية، فثمة (حتى تساوي عَدّى)، تصير العين حاء لقرب المخرج، وإذا جُهِرَ بالحاء، سُمِعَت عينًا، إذ لولا بحّة في الحاء، فإنها تُسمَع عينًا.

❖ **العَجْعَجَة**(٥١): مصدر بزنة "فَعْلَلَة"، وفيها تبدل الياء المشدّدة جيمًا في لغة بدوية بلهجة قضاعة، وسعد بن تميم وطيئ، وبنو دبير، وبعض اليمن، فيقال في (عليّ: عَلجّ)، وفي (عَشِيّ: عَشِجّ)، فهي تسمع في الياء المشدّدة، ومسموعة في اللهجة الجبالية في كلمة (دبيّ)، يقال: (دبجّ)، ومنه في الرجز:

خالي عويف وأبو عَلَج المُطْعِمَان اللحم بالعشج

ونقل عن ابن مسعود قوله: "فلما وَضَعْتُ رجلي على مِذْمَر أبي جهل، قال: أُعْلُ عَنِّج؛ أي عَنِّي". الإبدال ههنا فيه نوع من الوضوح السمعي، فالجيم أوضح من الياء الساكنة.

٥٠- ابن جني، ١/ ٩٣، الزمخشري، الكشاف، ٣١٩/٢، السيوطي، ٤٦٦/١.

٥١- ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٣٥٣/١، أبو حيان، ١٥٩/١.

❖ **الكَسْكَسَة**(٥٢): مصدر بزنة "فَعْلَلَة"، وفيها تبدل كاف المخاطبة عند الوقف سينًا أو تلحق بالكاف سينًا في لهجة ربيعة، وبكر وهوازن، فيقال في (أبوك: أبوس)، وفي (أخوكِ: أخوسِ)، و(أكرَمْتُكْ: أَكْرَمْتُكْسْ)، وهي مسموعة لليوم عند البدو في شمال السعودية في صورة صوت مركّب من التاء والسين.

❖ **الكَشْكَشَة**(٥٣): مصدر بزنة "فَعْلَلَة"، وفيها تبدل كاف المؤنّث شينًا، في لهجة تميم وأسد، والمهرة، والشحر، ومنه في قراءة (قد جعل ربك تحتك سريًا) [مريم:٢٤]، [ربش، تحتش]. وفي التدقيق تبدل صوتًا بين الكاف والشين، لا تمثله الأبجدية العربية، وهو شائع جدًا في اللهجات الخليجية المعاصرة (چ).

❖ **الوتم**(٥٤): مصدر بزنة "فَعْل"، وفيه تبدل السين تاء، في لهجة خثعم وزبيد قضاعة، ومنه في قراءة (قل أعوذ برب الناس) [الناس: ١]. (النات)، ومن الرجز:

عمرو بن يربوع شرار النات غير أكفاء ولا أكيات

وقولهم في (لا بأس): [لا بات]. وفي كل ذلك، يصبح الصوت الرخو شديدًا.

❖ **الوكم**(٥٥): مصدر بزنة "فَعْل"، وفيه تُكسَر كاف الخطاب إذا سُبقت بكسرة في لغة ربيعة، وبكر بن وائل، والنمر بن قاسط، وبعض أهل

٥٢- الصاحبي، ص٢٤، الحريري، ص١٨٣، البغدادي، ٢٣٦/١١، المزهر، ١/ ٢٢١.

٥٣- أبو حيان، ١/ ٤٠٦.

٥٤- أبو حيان، ٣٢٢/١، ابن عصفور، ١/ ٢٨٩، السيوطي، ٢٢٢/١.

٥٥- أبو حيان، ١/ ٤٦٨.

اليمن، فيقال في (السلام عَلَيْكُم) [السلام عَلَيْكِم]. وما يزال هذا النطق مستعملاً لليوم في مناطق من بلاد الشام وفلسطين. وهذه مسألة فيها نوع من المماثلة بين الحركات.

❖ **الوهم**(٥٦): مصدر بزنة "فَعْل"، وفيه تُكسَر ها ضمير الغيبة بعد سكون أو ياء مدية، في لغة ربيعة، وبكر بن وائل، قيس وتميم وبعض بني ربيعة، وبني سعد، وبني كلب من قضاعة، فيقال: [عَلَيْهِم، فيهِم، ومِنْهِم)، وهي كذلك مسألة فيها نوع من المماثلة بين الحركات ومسموعة لليوم في نطق كثير من البدو في شمال جزيرة العرب وجنوب بلاد الشام.

ب- عيوب الأصوات الأعجمية المرذولة:

إذْ ما يُطالع الباحث باب "الإدغام" في كتاب سيبويه(٥٧)، فسوف يُطالع حديثًا ماتِعًا وتَخَصُّصِيًا، عن اثنين وأربعين صوتًا (حرفًا) تُسمع في عربية العرب عَصْرَئذٍ، منها التسعة والعشرون صوتًا الأساسية، والمُشَكّلة للنظام الألفبائي الكتابي، والمعروفة بحروف الهجاء (أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـــ، و، ي، ا). وليست هذه موضع الاعتناء، ولا الانتباه في مقام البحث الماثل ههنا. وثمة ستة أصوات أَخَذَتْ مشروعية وقبولية لدى سيبويه والقُرَّاء جميعهم، إذْ يُؤْخَذ بها، وتُسْتحسن في قراءة القرآن والأشعار، علمًا بأن بعضها لا رموز إملائية لها، في الألفبائية العربية، وجميعها لا تعدو كونها تنوعات نطقية فرعية؛ أي (ألوفونات)، وليست

٥٦- المبرد، ١/ ٢٧٠.

٥٧- سيبويه، ٤/٤٣٢، المبرد، ١/ ١٩٤، ابن عصفور، ١/ ٣٥٣.

ذات قيمة وظيفية تمييزية، تنتقل أو تتبدّل بها دلالات الصيغ الصرفية، وهي (الأصوات المشروعة لدى سيبويه والقُرَّاء):

الأصوات المشروعة:

- **النون الخيشومية**[٥٨] (نون الإخفاء): فرع على النون اللثوية، وتتحقّق بإضعاف صفة الغنّة فيها عندما ترد ساكنة مع غير حروف الإظهار؛ كهو في قراءة نون (الإنسان)، في (إن الإنسان لفي خُسر) [العصر:٢].
- **الهمزة المُسهَّلَة**[٥٩]: همزة بين بين فرع على الهمزة المنبورة، وتسهيل الهمزة حرف مألوف في لهجة الحجاز خاصة، كقراءة (الذيب) عند الكسائي في (لئن أكله الذيب) [يوسف: ١٤]. وقراءة (أنبئهم بأسمائهم) [المعارج: ١٩]، بتسهيل الهمزة [أنبيهم].
- **الألف الممالة، وألف التفخيم**[٦٠]: كلاهما فرع على رسم الألف المنتصبة، فتنطق بإمالة شديدة نحو الكسر، بلهجة نجد لدى تميم وقيس وأسد؛ بنحو في قراءة (ضحاها) في (والشمس وضحاها) [الشمس:١]. وأمّا ألف التفخيم، فهي كذلك إمالة، ولكنها نحو الضم، بلغة أهل الحجاز في قراءة (الصلاة والزكاة) (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) [البقرة: ٢٧٧].

٥٨- سيبويه، ٤/٤٣٢، المبرد، ١/ ١٩٤.

٥٩- سيبويه، ٤/٤٣٢، المبرد، ١/ ١٩٤، السيوطي، ٢/ ٢٧٦.

٦٠- سيبويه، ٤/٤٣٢، ابن جني، ١/، ٥٦، أبو حيان، ١/٢٣٨.

- **صاد كالزاي**[٦١]: وهي زاي نصف مفخمة، تتحول إليها الصاد (ص ←ز) بإضعاف صفة التفخيم فيها، وإشمامها الجهر، بنحوه في نطق (أصدق) التي تُقرَأ (أزدق)، وهي قراءة في (ومَن أصدق من الله حديثًا) [النساء: ٨٧]، ومنه قولهم "لم يُحْرِم من فُزِدَ له"؛ أي (فُصِدَ).
- **شين كالجيم**[٦٢]: وهي شين مهموسة، تتحول إليها الجيم (ج ←ش) بإضعاف صفتيْ الشدة والجهر فيها، بنحوه في الجيم الساكنة، إذا وليها صوت شديد، فتُنْطَقُ (أجدر←أشدر)، وهي قراءة في (وأجدر ألاّ يعلموا حدود ما أنزل الله) [التوبة: ٩٧].
- **اللام المفخمة**[٦٣]: فرع على اللام المرققة في لفظ الجلالة، بعد فتح أو ضم.

الأصوات الأعجمية المَرْذُولَة:

فأما بضعة الأصوات الباقية، وعددها سبعة، فهي مستقبحة وغير مستحسنة في جَرْي الكلام، وقد تقاطب الرفض لها منذ سيبويه فصاعدًا، ونُعِتَتْ بـــ: المذمومة، والمرذولة، وغير الفصيحة، ولا تصحّ بها قراءة القرآن، ولا رواية أشعار أو أنثار. وما تزال كذلك دونية، ويتحاشاها الدرس والتدريس في جامعات عربية كثيرة؛ ولو لأغراض البحث العلمي، بحجة الخوف منها على

٦١- سيبويه، ٤/ ٤٣٢، المبرد، ١/ ١٩٤.

٦٢- سيبويه، ٤/٤٣٢.

٦٣- سيبويه، ٤/٤٣٢، أبو حيان، ١/ ١٣٠، الأقطش، التفخيم في العربية، ص٨٤.

الفصحى؛ مع أن الثنائية أو الازدواجية بينها وبين الفصحى كانت و لم تزل لليوم (فصحى ولهجة)، وهي:

- **جيم كالكاف**[٦٤]: وهذه الجيم هي: صوت طبقي (حنكي أمامي) انفجاري مجهور، غير مركب، وفي علم المقارنات السامية تُعدّ أصلاً تاريخيًا للجيم الفصيحة، ولا تمثيل خطيًا لها في الفصحى (گ :G). وتُسمَع كثيرًا في لهجة أهل اليمن، ومدينة القاهرة في نطق كلمات مثل (جيد ⟵ گيد) وقد أصبحت في لهجات البدو في الأردن تنوعًا نطقيًا لصوت (القاف: Q) المهموسة في الفصحى (قال ⟵ گال). ولا يقرأ به في القرآن.
- **جيم كالشين**[٦٥]: هذه الجيم هي: صوت غاري (حنكي صلب) صفيري، مجهور، مركب من جيم وشين، وليست في أصل أصوات العرب الفصيحة، ولا تمثيل خطيًا لها في العربية الفصحى(ژ: Z). وتُسمع اليوم كثيرًا في نطق أهل الشام للجيم المغلظة (فَرَج ⟵ فرژ). ولا يقرأ بها في القرآن.
- **كاف بين الجيم والكاف**[٦٦]: وهي صوت غاري (حنكي صلب)، احتكاكي، مهموس، مركب من جيم وتاء، ولا تمثيل خطيًا لها في

٦٤- سيبويه، ٤/٤٣٢، المبرد، ١/ ١٩٤.

٦٥- سيبويه، ٤/٤٣٢، ابن عصفور، ١/ ٣٥٣.

٦٦- سيبويه، ٤/٤٣٢، ابن عصفور، ١/ ٣٥٣.

الفصحى (چ). وتُسمع كثيرًا في أهل العراق وفلسطين، وعُرفت قديمًا بالكشكشة المغلظة في تميم وقيس (كَلْب ⟵ چلب). ولا يقرأ بها في القرآن.

- **صاد كالسين**[٦٧]: الصاد صوت لثوي أسناني، مهموس، صفيري، مفخم، وهي ليست في أصل حروف غير العرب، مثل بقية أصوات التفخيم، ومن ثم عند نطقها تضعف فيها صفة التفخيم، وتقترب من سين نصف مفخمة، فتلتبس المعاني بين ما هو بالسين أصلاً، وما هو تنوع في نطق الصاد، بنحوه في (نَصَف ونَسَف، وصار وسار)، ومن ثم صار مستقيمًا عدم التمييز بين نطقيْهما وبخاصة في قراءة القرآن، فلا تصح قراءة السراط في (اهدنا الصراط المستقيم) [الفاتحة: ٦].
- **ضاد كالثاء**[٦٨] (ضاد ضعيفة): الضاد: صوت لثوي أسناني مفخم، انفجاري، مجهور، وكذلك هي ليست في أصل حروف غير العرب، ومن ثمّ تقترب في نطق غير العرب من ثاء نصف مفخمة بتقليل صفة التفخيم، وانتقال مخرجها إلى مخرج بين أسناني، بنحوه في نطق (أَضَرَّ) إلى (أَثَرَّ)، وهي في النطق اللهجي عند العرب اليوم تُنطق دالاً نصف مفخمة، وبخاصة عند البنات، (ضلّ⟵ دلَّ)، أو ظاء مفخمة عند العراقيين بعامة (الضحى ⟵ الظحى) أو زايًا مفخمة في الألفاظ

٦٧- سيبويه، ٤/٤٣٢، ابن عصفور، ١/ ٣٥٣.

٦٨- سيبويه، ٤/٤٣٢، ابن عصفور، ١/ ٣٥٣.

الأعجمية (ضابط ⟵ زابط)، وفي لهجات كلب وقضاعة قديمًا تُنطق ذالاً نصف مفخمة (مضروب ⟵مذورب)، وبأيّ تُعدّ مُستقبَحةً في قراءة القرآن وفي الشعر معًا.

- **ظاء كالثاء**[٦٩] (ظاء مخففة): الظاء صوت بين أسناني، مفخم، مجهور، احتكاكي, وليست هي في أصل حروف غير العرب، ومن ثمّ تتحوّل إلى ثاء نصف مفخمة (ظالم ⟵ ثالم)، أو زاي نصف مفخمة (ظالم ⟵ زالم)، وكذلك يظهر لها تنوعات نطقية بالزاي في نطق أهل الشام، ولا تصح بها قراءة القرآن.
- **باء كالفاء** (فاء مجهورة) [٧٠]: الفاء المجهورة ليست في أصل أصوات العرب، ولكنها تسمع من عجم أهل الشرق كثيرًا، وهي صوت شفوي أسناني، احتكاكي، مجهور، (ڤ: v). ولا تُستحسن في قراءة القرآن أو الشعر.

وكذلك يلاحَظ أن الأصوات غير المستحسنة هذه هي في جُلِّها خاصة بعربية غير العرب في نطقهم لأصوات العربية، وهم أساسًا لا يقدرون على نطقها على حاقِّ وصفها؛ لأنها ليست في أصول لغتهم، فيقرّبونها إلى نظائر مدانية لها هكذا في أصوات (گ ، ژ ، ڤ)، ومنها ما هو ثقيل نطقه لدى العرب والعجم في (ض، ظ)، فتظهر له تنوعات نطقية أخرى، وهناك صورة

٦٩- سيبويه، ٤/٤٣٢.

٧٠- سيبويه، ٤/٤٣٢.

الكشكشة (چ) وهو مظهر لهجي محض، لم تقع له مشروعية ولا قبولية في اللغة الفصحى، برغم من استمراره حيًّا لليوم، وبرغم من ورود قراءة قرآنية عليه، ونحسب أن غياب التمثيل الكتابي له في ألفبائية الفصحى، وفي الأبجدية السامية الأساسية يُعدّ سببًا وجيهًا لاستبعاده. على أنه من ناحية صوتية محكوم في ظهوره بالقانون الخاص بالأصوات الحنكية. والذي فيه يتقدَّم صوت الكاف من مخرج الطبق إلى مخرج الغار أو الحنك الصلب، فيقارب الشين في نطقه، ويُسمَع (چ).

أسباب العيوب وطرق معالجتها

ثَمَّة اليوم أبحاث ضافية ومُسهِبة عن أسباب العيوب وطرق معالجتها، وطبيعي أن يكون ذلك كذلك، فقد ارتقت المعرفة في هذه الظاهرة وحولها إلى مصافّ العلم المنضبط بمقدّماته ونتائجه. وأُعْمِلَتْ الأسباب في عوامل: بعضها عضوية، وبعضها نفسية، وبعضها بيئية، وبعضها وراثية، وأُعْمِلَت المعالجات في طرق: بعضها بتدخُّلات جراحية، وبعضها بطبابات نفسية، وبعضها بمعالجات جماعية اجتماعية، وبعضها ببرامج تأهيلية تدريبية، أو بنحو من هذه الأسباب أو من تلك المعالجات.

وليس يُنْظَر، ولا يُفْتَرض أن يكون علماء السلف قد وصلوا إلى مثل هذه النجاحات، وكفاحهم أن يكون لهم من هذه وتلك أشياء موافقة، فإنما هم قد أتوا على هذه المسألة بصورة عرضية ثانوية، وذلك في ضوء أنظارهم البلاغية التي

تتغيّا الصحة والفصاحة، وتَسْتَهْجِن وتَسْتَقْبِح ضعف السلاسة والإبانة في الكلام، وقليل ما هم العلماء، الذين خَصُّوا الموضوع بشذرات من الأنظار اللغوية. وقد كانت – بنحو ما سبق– جزئية وعامة، على أنها في ضوء ما تَرسَمُّوه من المصطلحات المتعددة، والمتنوعة تُفْهِم ضمنيًا، أنهم كانوا يراعون في تلك المصطلحات علاقة ما بين الدوال والمدلولات؛ أي أن المصطلحات بذاتها مُعَرِّفة بأسبابها. وقد كانت الأسباب العضوية هي الأوضح من غيرها. وكثيرة جدًا هي عباراتهم عن ثقل في اللسان، واختلال في اللسان، وانسلاق في اللسان من داء يصيبه، والتواء في اللسان، حتى لقد فرّق الجاحظ في مقام اللثغة بين عيوب الكبار وعيوب الأطفال ههنا، يقول: "والذي يعتري اللسان، مما يمنع من البيان أمور، منها: اللثغة، التي تعتري الصبيان إلى أن يُنَشَّئوا، وهو خلاف ما يعتري الشيخ الهرم الماجّ، المسترخي الحَنَك، المرتفع اللثة، وخلاف ما يعتري أصحاب اللُّكَن من العجم"(٧١).

ثم إن تصنيف مصطلحات العيوب في الماثل من مطاوي البحث يظهِر ضمنيًا ثلاثة أسباب رئيسة في مجالها، وهي: العضوية وتنتظمها مصطلحات الأمراض، والنفسية وتنتظمها مصطلحات السلوك، والبيئية وتنتظمها مصطلحات اللهجات ولحن العجم، وأما بالنسبة لطرق المعالجة، فالطبابة النفسية بالاستماع إلى القرآن المجيد كانت وصفة معتمدة في معالجة العيوب العضوية

٧١- الجاحظ، ١/ ٤٠.

والسلوكية على سواء. فذلك يساعد في هدوء البال، وفي تقليل الارتباك والانفعال.

فأمّا الطبابة التأهيلية لأعضاء النطق بمهارات: التشكيل النطقي، والسمعي، والتواصُل اللفظي، فقد وعاها وألحّ عليها علماء اللغة، والقراءات على حدّ سواء، وممّا نبّهوا إليه في هذا المقام ما يذكره الجاحظ في علاج اللثغة: "فأمّا اللثغة التي على الغين، فهي أيسرهنّ، ويُقال إن صاحبها لو جهد نفسه جهده، وأَحّدَّ لسانه، وتكلّف مخرج الراء على حَقِّها، والإفصاح بها، لم يكن بعيدًا من أن تجيبه الطبيعة، ويُؤَثِّر ذلك التعهُّد أثرًا حسنًا"(٧٢).

ومعلوم أن رياضة العضو، بما يؤدي إلى أن يمارس دروه في النطق على حاقِّه، قد كانت و لم تزل أنجع وسيلة في تعليم أحكام التجويد بعامة، وعلاج ما شُهِر بـــ(اللحن الخفي) بخاصة. يقول أبو الحسن السعيدي عن اللحن الخفي: لا يعرفه إلاّ المقرئ المتقِن الضابط، الذي يُلقِي من ألفاظ الأستاذين المُؤدَّى عنهم، والمُعطِي كل حرفٍ حقَّه، غير زائد فيه، ولا ناقص منه، المتجنِّب عن الإفراط في الفتحات والضمات والكسرات والهمزات، وتفريط النونات، وترعيدها وتغليظ الراءات وتكريرها، وتسمين اللامات، وتشريبها الغُنَّة، وتشديد الهمزات وتلكيزها(٧٣). وهذا نوع من التدريب الذاتي على رياضة اللسان بالكلام الفصيح.

٧٢- الجاحظ، ١/ ٤٠.

٧٣- السعيدي، التنبيه على اللحن الجليّ واللحن الخفيّ، ص٢٦٠.

الخاتمة:

لقد تحصّل باليد (اثنان وأربعون) مصطلحًا لغويًا في مجال عيوب النطق والكلام الصوتية، وهذه قيمة منشودة في حدِّ ذاتها، ويمكن توظيفها في نواحيها المناسبة لها، فتكون بديلاً وظيفيًا عن المصطلح الأجنبي، وفي الأقلّ ترجمة مُتَحَمِّلة إيّاه، فضلاً عن اعتمادها ركيزة أساسية في التأسيس العلمي من جهة، والتاريخي من جهة أخرى؛ لوضع معجم لغوي لمصطلحات العيوب الكلامية في العربية.

المراجع

١- ابن البناء: العيوب التي يجب أن يتجنّبها القُرَّاء، ت. غانم قدوري: دار عمار، عمان، ٢٠٠١م.

٢- ابن الجزري: التمهيد في علم التجويد، ت. البواب، المعارف، الرياض، ١٩٨٥م.

٣- ابن جني: سر صناعة الإعراب، ت. هنداوي، دار القلم، سوريا، ١٩٨٥م.

٤- ابن دريد: جمهرة اللغة، دار العلم، بيروت.

٥- ابن عبد ربه: العقد الفريد، ت. الأنباري وآخرون، دار الكتاب، بيروت، ١٩٨٢م.

٦- ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة، ت. أحمد صقر، دار إحياء الكتب، القاهرة.

٧- ابن عصفور، الممتع في التصريف، ت. قباوة، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٨- أبو حيان، ارتشاف الضرب، ت. رجب عثمان وآخرين، مكتبة الخانجي، ١٩٨٩م.

٩- أحمد حابس: الحبسة وأنواعها، دراسة في علم أمراض الكلام والنطق، القاهرة، ٢٠٠٤م.

١٠- الأقطش، اللحن في الأصوات العربية على ألسنة العجم، مجلة أبحاث اليرموك، الأردن، مجلد (١٦)، ١٩٩٨م.

- طليعة التفكير اللغوي العربي، مجلة الآداب، جامعة قسطنطينة، الجزائر، عدد (٧)، ٢٠٠٤م.

- حول حقيقة العربية الفصحى، المجلة الثقافية، جامعة جرش، الأردن، عدد (٥)، ٢٠٠٧م.

١١- البغدادي عبد القادر: خزانة الأدب، ت. هارون، القاهرة، ١٩٦٧م.

١٢- الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية: دار المعارف، بيروت.

١٣- الجاحظ: البيان والتبيين، ت. هارون، دار الفكر، بيروت.

١٤- الحريري: درة الغواص في أوهام الخواص، ت. محمد أبو الفضل، دار النهضة، مصر، ١٩٧٥م.

١٥- حمزة السعيد: العيوب الإبدالية عند الأطفال، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٩٩م.

- التأتأة، المظاهر والأسباب، مجلة التربية، عدد (١٤٠)، قطر، ٢٠٠٢م.

١٦- سليمان العابد: اللثغ بالراء، مجلة جامعة أم القرى، عدد (٥)، ١٤١١م.

١٧- سيبويه: الكتاب، ت. هارون، الخانجي، القاهرة.

١٨- السيوطي: المزهر في علوم اللغة، ت. محمد جاد المولى، القاهرة.

١٩- السعيدي الرازي: التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي، ت. غانم قدورة، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد (٣٦)، ١٩٨٥م.

٢٠- العوتبي الصحاري: الإبانة في اللغة العربية، ت. عبد الكريم خليفة، مسقط، عُمان، ١٩٩٩م.

٢١- المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ت. محمد أبو الفضل، القاهرة.

- المقتضب، ت. عظيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٥هـ.

٢٢- محمود قاسم محمد: عيوب النطق والكلام لدى الأطباء العرب، المجلة الثقافية، عُمان، عدد (٤١)، ١٩٩٧م. والله الموفّق...

الأستاذ الدكتور/ عبد الحميد الأقطش
كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا
جامعة أم القر مكة المكرمة
البريد الإلكتروني: aqtashabdul@yahoo.com
الجوال: ٠٥٨٢٩٣٠٩٢٣.